

فرضت ظاهرة النار نفسها على جوانبٍ مختلفةٍ من حياة الإنسان في مختلف العصور التاريخية، فكان من الضروري الالتفات لهذه الظاهرة في الشعر الجاهلي، كأحد الفنون القديمة، التي تأثرت بالدين والأسطورة بشكل مباشر، وكان من الدراسات الحديثة التي حُصِّصت لهذا الشعر القديم نماذج جذبت نظر الباحث واهتمامه لدراسة هذا الشعر من خلال صورة النار بشكل أسطوري.

ومن أهم هذه الدراسات كتابات الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن عن أصول هذا الشعر وأهميتها في صورته الفنية، في كتابه "بين القديم والجديد، والشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية" وكذلك إشارات الأستاذ الدكتور أحمد كمال زكي في كتاب "الأساطير"، كذلك ما كتبه الأستاذان في بعض مقالاتهما بمجلة فصول، كذلك كانت دراسة كل من الدكتور أنور أبو سويلم "المطر في الشعر الجاهلي" والدكتورة ثناء أنس الوجود "رمز الأفعى في التراث العربي" ورمز الماء في الشعر الجاهلي "نماذج يقتفى أثرها في توظيف الأصول القديمة في تفسير الصور الشعرية

وكانت دراسة أستاذنا الدكتور على البطل "الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري" بمثابة إمامةٍ شاملةٍ بأطراف هذا المنهج أصلته بشكل عام، حيث خصص جزءاً نظرياً من كتابه لمفهوم مصطلح الصورة الفنية ثم حدّد الأصول الدينية التي تُسَمِّدُ منها الصورة في الشعر العربي، ثم انطلق بهذه الدراسة إلى صورة المرأة، وصور الحيوان بأشكاله المختلفة "الثور الوحشي، الحمار الوحشي، وصورة الظليم، والناقة، والحصان" كما تناول صور المدح والهجاء، والفخر والوصف والثناء، فكانت هذه التعددية في عرض الصورة المدروسة أكثر فائدة لسعة مساحة تجاربه النقدية وتطبيقها على أكثر من

شريحة فكان من الضروري أفراد بحث يدرس صورة النار في الشعر الجاهلي، ويفسرها تفسيراً " فنياً" يخضع للمنهج الأسطوري الذي يكشف عن الأصول الدينية للصورة ليزيل عنها غموضها، حيث لاحظ الباحث أن ظاهرة النار، رغم كثرة ورودها واستخداماتها الفنية في الشعر الجاهلي، لم تدرس بشكل وافٍ اللهم إلا بعض الإشارات في صور المرأة والشمس، والثور الوحشي بشكل هامشي.

ومن هنا يأتي هذا البحث المعنون بـ " صورة النار في الشعر الجاهلي"، تفسيراً فنياً لدراسة تلك الصورة بشكل متكامل، وقد جاء هذا البحث في خمسة فصول، كان الفصل الأول نظرياً وفيه ناقش الباحث صورة النار من حيث مصادرها وأساطيرها عند العرب وغيرهم، وكيفية تسرب هذه الصورة إليهم ومدى انعاسها على الصورة الشعرية.

وكان الفصل الثاني عن " صورة نار الحرب" في شعر الجاهليين وكيف صوّرت بها الحرب، وكذلك سلاحها من سيف ورمح ونبل وخيل، --- إلخ. وكان الفصل الثالث عن " صورة نار الكرم" وقد استعرضت الدراسة الصورة الخيرة لظاهرة النار في خيال الإنسان البدائي، ثم تناولت أنماط نار الكرم وهي : نار هداية الأضياف، ونار القدر، وآثار النار في الأتافي .

وأما الفصل الرابع فقد تناول ظاهرة الاستبشار برؤية البرق عند العرب القدماء، وتمثل النار فيه، والتفاؤل بصورها المختلفة عند وصفه، كذلك تناول البحث في هذا الفصل طقس الاستمطار بمناقشة ورصد الشعائر السحرية والأسطورية فيه لإثبات ما للعرب من رصيد في هذا الباب . وكان الفصل الخامس في الشكول التي وصفت صورة الإنسان متمثلةً في " المرأة"، "والرجل" ثم كانت الجزئية الثانية وهي " التسمية بالنار".

وقد لاقى الباحث عند الشروع فى هذا البحث صعاباً، كان من أبرزها تعدد أشكال صور النار ومعطياتها " كالنور، والنار، والجمر، والدفء، والبرق، والمصباح، والشهاب، والقبس، واللهب --- إلخ " وتداخل صور الكواكب السماوية مع صورة النار فى الذهن القديم - المنشئ للشعر المطروح للدراسة-، مما كان سبباً فى تعدد صور النار فى النصوص الشعرية عند أكثر الشعراء، فى شكل قطع صغيرة، كان من الصعب التأليف بين أنماطها فى سياق موضوعى محدد، ومما جعلها أيضاً مفتتة متشابهة عند كثير من الشعراء، وفى كثير من القصائد، كما حرّمها ذلك من توافر لوحات كاملة لها كلوحة الطلل مثلاً، أو لوحة السيل، والحرب، والثور الوحشى . وقد عانى الباحث أيضاً من " غياب المصادر العلمية التى تصنف الأساطير العربية كالمعاجم والدوائر والقواميس بشكل موسوعى، وإن كانت أخبار ميثولوجية قد وردت عن العرب فى بطون كتبنا القديمة، إلا أنها مفرقة أشتاتاً متباعدة يصعب الوصول إليها بسهولة، كما أن الفكر الميثولوجى لم يكن قد اتضح فى ذهن كتابها من القدماء كعلماء اللغة والمفسرين وكتاب الأدب.

وقد اتبع الباحث المنهج الأسطورى فى رصد هذه الصور الفنية وتحديد أصولها القديمة، ولم تُحرم الدراسة من الاعتماد على مناهج أخرى كالمناهج النفسى والجمالى، حرصاً على موضوعية الدراسة، وجمالية البحث، وهروباً من صرامة المنهج الواحد فى الدراسات الأدبية.

وقد اعتمد الباحث أثناء بحثه على مصادر ومراجع متنوعة بين: التاريخية :
وأهمها المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، وتاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان،
وتاريخ الحضارات السامية القديمة

لسبتيينوموسكاتى .ومنها الأدبية : وأهمها الحيوان ، وبلوغ الأرب، ونهاية الأرب،
والأغانى، والبيان والتبيين، ومروج الذهب، وصبح الأعشى، وخزانة الأدب، وكتب تاريخ
الأدب : للدكتور طه حسين " فى الأدب الجاهلى "، وبركلمان، وشوقى ضيف، وبلاشير،
وعلى الجندى.

والدراسات النقدية والأدبية الحديثة : كان من أهمها دراسات الأستاذ الدكتور
إبراهيم عبد الرحمن محمد، والدكتور على البطل، والدكتور أنور أبو سويلم، والدكتورة ثناء
أنس الوجود، والدكتور مصطفى ناصف، ورسالة ماجستير الدكتور عبد الفتاح محمد أحمد،
وقد أفاد الباحث من كتب الأساطير كالفلكلور فى العهد القديم، ومغامرة العقل الأولى،
والأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، وأساطير فى أصل النار ويتعذر عرض كل المصادر
والمراجع هنا فقد أعد الباحث تبتاً " للمصادر والمراجع رتبه ترتيباً هجائياً حسب حروف
المعجم بأسماء الكتب، ثم خصص جزءاً للدوريات وجزءاً " ثالثاً " للمراجع الأجنبية، واضطر
الباحث فى بعض الأحيان إلى الرجوع لأكثر من طبعة للمرجع الواحد، وعلى هذا إن كانت
الطبعة التى رجح إليها موحدة فى جميع الرسالة لم يجد داعياً إلى ذكر الطبعة وتاريخها فى
هوامش الرسالة، وإذا اضطر إلى الخروج عن هذه الطبعة الموحدة فإنه سيذكر فى الهامش
بيانات الطبعة من تاريخ ومكان صدور ودار النشر فى الطبعة التى خرج فيها عن الطبعة
الموحدة.

وإن كانت هناك كلمة شكرٍ، فإنها توجه لأستاذي الجليلين: الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالرحمن الذي شرفْتُ بإشرافه على هذا البحث، وتعلمت على كتبه ومقالاته كرائد من رواد المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، وكمشرف على العديد من الرسائل الجامعية القيِّمة في هذا الاتجاه يشهد له الجميع بأستاذيته وريادته، والأستاذ الدكتور على البطل، الذي ترك بصمته على هذا المنهج في الشعر العربي فعمق جوانبه، وأثرى بحوثه، وكان لي الملاذ والملاجئ كلما أظلمت الطريق، وغامت الرؤى، وحلق اليأس، فاحتضن البحث والباحث، ولم يبخل بالنصيحة ولم يميل من التوجيه، وجاد بوقته وجهده غير باخل ولا ضنين.

كما أوجه شكرى وعرفانى للزميل الأستاذ باسم يوسف صموئيل الذى قدم لي الكثير من وقته ومجهوده، وقام بترجمة بعض المصادر الإنجليزية ترجمة واعية كان لها أثرها فى إثراء هذا البحث وتعميقه وأخيراً أقدم شكرى لكل من قدّم عوناً أو أشارَ برأى، أو أوحى بفكرة أو أعان بنقد.

الباحث